الاختصار ويجوز ارتكابه اذا علم فهم المخاطب المراد منه والا تعين البسط
وكان الاستاد ابو اسحق الاسفرايني رحمه الله يقول جميع ما قاله المتكلمون
في التوحيد قد جمعه اهل الحق في كلمتين الاولى اعتقاد ان كل ما تصور
في الاوهام فالله بخلافه والثانية اعتقاد ان ذاته تعالى ليست شبيهة
بذات ولا معطلة عن الصفات ولما اكتفى السلف الصالح في باب الاحكام
الشرعية والعقائد الدينية بالنقل عن الكتاب والسنة ولم يكثروا البراهين
العقلية اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم لم يشتغلوا بالتصنيف فلما
ظهرت الفتن وكثر الخوض في البحث والجدال بالباطل اشتغلوا بالتصنيف
فحدث في القرن الاول مصنفات في علم الكلام مشتملة على المهمات مما يتعلق
بالعقائد وزاد فيها المحققون الكثير من التحقيقات والتدقيقات
وكان السبب في حدوث علم الكلام ان المسلمين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم
على طريقة مخصوصة في المذهب وعلى نمط واحد في الاعتقاد ثم لما
خلت الارض عن الصحابة والتابعين واتخذ الناس رؤسا جهالا فافتوا
بغير علم فضلوا واضلوا انتدب قوم من العلما فتتبعوا النصوص
القرانية والسنية ووضعوا لكيفية الاستنباط منها قواعد كلية
واقتدى الناس منهم باربعة مالك والشافعي وابي حنيفة واحمد رضي الله
عنهم لصحة اصولهم ومطابقتها الكتاب والسنة وسلامتها عن الهوى
والبدعة ثم ظهر في القرن الثاني مذاهب باطلة في الاعتقادات
مخالفة للكتاب والسنة كالارجا والقدر والاعتزال والرفض وشاع
ذلك في عهد الائمة الاربعة المذكورين وشاهدوا ميل الناس الى ضلالهم
وبدعتهم فانكروا علم الكلام اشد الانكار حتى حكموا بكونهم مبتدعين
بل صرحوا باكفار المعتزلة في نفي الروية والشفاعة وباكفار المرجئة
في نفي فعل العبد وباكفار المجبرة ونحو ذلك فنقل عن مالك انه قال
لا تجوز شهادة اهل البدع والاهوا قال بعض اصحابه اراد باهل الاهوا اهل
الكلام اي مذهب كانوا وعن الشافعي انه قال لو يعلم الناس ما في
علم الكلام من الاهوا لفروا منه فرارهم من الاسد قال ابن عبد الاعلى
سمعت الشافعي يوما وقد ناظره حفص الفرد وكان من متكلمي
المعتزلة يقول لان يلقى الله عبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له
من ان يلقاه بشيء من الكلام وعن حماد بن ابي حنيفة انه كان يتكلم في الكلام
فنهاه ابوه عن ذلك فقال له حماد رايتك وانت تتكلم فما بالك تنهاني

قال

٩

قال يا بني كنا نتكلم في الكلام وكل واحد منا كان الطير على راسه مخافة ان يزل صاحبه
وانتم اليوم تتكلمون كل واحد منكم يريد ان يزل صاحبه ومن اراد ان يزل صاحبه
فكانه اراد ان يكفر ومن اراد ان يكفر صاحبه فقد كفر قبل ان يكفر صاحبه وعن
احمد انه قال لا يفلح صاحب الكلام ابدا ولا ترى احدا ينظر في الكلام الا وفي قلبه
مرض وبالغ في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه لتصنيفه
كتابا في الرد على المبتدعة وقال له ويحك الست تحكي بدعتهم اولا ثم ترد
عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة كلام اهل البدعة والتفكر فيه
فيدعوهم ذلك الى الراي والبحث ووجه هذا الانكار ان الاشتغال باثبات
العقائد الدينية بالادلة العقلية بدعة لم يكن في زمن الصحابة والتابعين
بل اكتفوا بالنقل والسماع فيها كاكتفائهم بهما في الاحكام الاجتهادية
وصاحبه ربما لا يسلم عن خلط الهوى والعصبية ويتجاوز بسببه عن حد
الكتاب والسنة كما هو حال فرق الضلال وربما يلتذ بهذا العلم لكونه على
مقتضى العقل فيترك الكتاب والسنة والعمل بهما وايضا هذا العلم له قوة
قاهرة وقدرة باهرة في الزام الخصم وافحام المجادل وتقويم المعاند
وتفضيح المكابر فلعله يداخل من يزاوله العجب والكبر من حيث لا يشعر
فسبب انكار الائمة لهذا العلم انما هي هذه الافات فالمتعصب في الدين
او القاصر عن تحصيل اليقين او القاصد افساد عقائد المسلمين او الخائض
فيما لا يفتقر اليه من غوامض المتفلسفين لا يجوز له الاشتغال به والا
فلا يتصور من شريف تلك الحضرات وقوع النهي عما هو اصل الواجبات
واساس المشروعات وبه تتعلق السعادة وبنفيه يتعلق الشقا المؤبد ان
كمعرفة الله تعالى وتوحيده ومعرفة النبوة وما تنطوي عليه عقائدنا
ثم لما قويت الاسباب عند المصنف رحمه الله تعالى فيما وجه اليه عزمه
وجمع عليه رايه صار في حكم الموجود الحاضر بحيث نزله منزلته وعامله
بالاشارة اليه معاملته قال ومفصل نوع هذه الالفاظ المخصوصة المخيلة
الدالة على المعاني المخصوصة على وجه مخصوص ارجوزة اي قصيدة منظومة
على بحر الرجز عليك بها لكفايتها في الواجب عليك تحصيله من هذا الفن
والاتيان بلفظ القلة للترغيب في تعاطيها بانها قليلة ونظم ونازلة من
العقائد منزلة الجواهر من القلائد واليه اشار بقوله لقبتها اي علقت
عليها علما مشعرا بمدحها اعني جوهرة علم التوحيد مركب اضافي مفعول

الاربعة م

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)